# دراسة حول العلاقات بين شبه الجزيرة العربية والصين

## إبان حكم أسر تانغ الملكية والممالك الخمسة (من 618- إلى 960م)

جعفر كرار أحمد*

### مقدمة:

نحاول في هذه الدراسة أن نلقي بعض الضوء على علاقات منطقة شبه الجزيرة العربيّة مع بلاد الصين إبان حكم أسرة تانغ الملكية والممالك الخمسة في الصين (6318-960م). وعلى الرغم من البعد التاريخي لهذه الدراسة والتي تعالج بشكل عام علاقات منطقة شبه الجزيرة العربية مع بلاد الصين ورصد حركة التبادل الدبلوماسيّ والتجاريّ والثقافيّ الثرية بين هاتين المنطقتين في فترة مهمة من تاريخ منطقة شبه الجزيرة العربية، إلاّ أن الدراسة تحاول أيضاً بطريق أخرى الإسهام في تشكيل رأي جديد حول الجذور التاريخية للإسلام في الصين بشكل عام وتاريخ تكون الثقافة والجماعات الصينيّة المسلمة في الصين. فعلى عكس الرأي الشائع عند عدد كبير من الباحثين الصينيين من أن قوميّة خوي الصينيّة المسلمة على سبيل المثال قد تكونت إبّان الفترة المغوليّة في الصين (أسرة يوان 1271-1368م)، فإنني أعتقد أن الثقافة الإسلاميّة في الصين ـ بالتالي التأثير الإسلامي في بنية المجتمع الصيني ـ من المحتمل أن تكون قد بدأت في فترة ما إبّان حكم أسرة تانغ، وعلى الرغم من أن الدراسة لم تعالج هذه

* دكتوراه في الدراسات الصينية من جامعة بكين، 1998م.

الفرضية بشكل مباشر إلاّ أنني آمل أن يستنتج القارئ أن حركة تبادل ثرية مثل هذه لا يمكن أن تمرّ دون تأثير حقيقي في بنية المجتمع الصيني وثقافته.

الإشكالية الثانيّة التي تحاول الدراسة معالجتها هي محاولة الإسهام في حل لغز الزيارات والوفود والإشارات الغامضة لمبعوثي ورجال الدعوة الإسلاميّة الذين جاءوا من المدينة إلى الصين إبان حياة الرسول ﷺ، حيث باشروا الدعوة واستقروا بمدن بعينها في الصين، علماً بأن الباحثين الصينيين لا يزالون يسجلون اجتهادات جديدة حول تاريخ وصول وطبيعة مهمة هذه البعثة المثيرة للجدل. وقد قمنا بزيارة ميدانيّة لدراسة النقوش والكتابات الموجودة على القبور الخاصة ببعض هؤلاء الدعاة وذلك بمدينة Guang Zhou في جنوب الصين.

آملين أن تسهم هذه الدراسة أيضاً في إلقاء بعض الضوء وسد النقص الكبير في تاريخ التبادل الدبلوماسي الثقافي بين الدول الإسلاميّة وبلاد الصين في العصور الوسطى.

## العلاقات بين الصين وشبه الجزيرة العربيّة إبّان حكم أسرة تانغ والممالك الخمسة:

تؤكد المصادر التاريخية الصينية أن الوجود العربي في الصن تزامن مع مجيء أسرة Tang (618–907م) إلى حكم الصين، وقبل ظهور الإسلام في شبه الجزيرة العربيّة فقد كان هناك عرب ضمن رعايا تلك الأسرة وكانت لهم أنشطة تجاريّة فضلاً عن صناعات صغيرة، حيث أقاموا مصنعا بمدينة GuangZhou وذلك في حدود عام 622م،[1] أي قبل الهجرة.

وتشير المؤلفات الصينية الخاصة بأسرة Tang إلى أن الوجود العربي في الصين كان مرصوداً منذ عهد الإمبراطور Tai Zong (626–649م)، وتذكر الوثائق الصينيّة أن بلاد أولئك الأجانب تقع غرب الصين وهي تزدهر حيناً وتتدهور حيناً آخر.[2]

---

1 Broom Hall, Marshall, *Islam in China, a Neglected Problem*, London, Morgan and Scotts, 1910, p.8

2 إبراهيم فنغ جين يوان، **الإسلام في الصين**، تعريب محمود يوسف لي هواين (بكين: دار النشر باللغات الأجنبية، ط1، 1991م) ص7.

كما يبدو أنه بحلول عام 628م كان الأجانبُ القادمون من الغرب قد بدأوا التزاوج والاندماج في المجتمع الصيني، فقد أصدر في ذلك العام (618م) الإمبراطور الصيني أمراً يحظر فيه سفر الصينيات المتزوجات من أجانب مع أزواجهن.[3]

ولما كان تجار ومواطنو شبه الجزيرة العربية ناشطين في التجارة مع الصين في ذلك الوقت فلا نستبعد أن يكون هنالك مواطنون خليجيون قد استوطنوا الصين وتزوجوا صينيات وربما أصبحوا أيضاً رعايا للحكومة الصينيّة آنذاك.

على كل حال وبينما كان الطريق التجاريّ وبالتحديد شقه البحري سالكاً بين الصين ومنطقة شبه الجزيرة العربيّة وفي الوقت الذي كانت فيه الجاليات العربيّة بالمدن والموانئ التجاريّة الصينيّة تنمو وتزدهر، حدث تحول خطير في البنية الاجتماعيّة والثقافية والسياسية في شبه الجزيرة العربية، وكان هذا التحول الكبير هو ظهور الإسلام.

وكم كان من المدهش حقاً أن نجد أن البلاط الصيني كان يتابع بشكل جيد التطورات الجديدة في شبه الجزيرة العربية، بل ومنذ كانت الدعوة في بدياتها الأولى تواجه وحيدةً قوى المؤسسة السياسيّة والدينيّة والاقتصاديّة الشرسة لقريش. في هذا الوقت المبكر كانت المصادر الصينية وبالطبع البلاط الملكي يرصد الأحداث الدائرة في قلب مكة، يقول كتاب تاريخ أسرة تانغ القديم Old Tang Shu: "كان الأمر في بلاد Tashi (العرب) الواقعة غرب An Xi (الفرس) في يد قبيلة قريش التي يتفرع منها بنو هاشم وبنو مروان ومن البيت الهاشمي ظهر رجل شجاع وذكي فحارب خصومه وأصبح حاكماً على يثرب".[4] ويقول كتاب أسرة تانغ القديم أيضاً حول ذات الموضوع تحت عنوان سجلات حول Tashi (بلاد العرب) تقع غرب An Xi وفي الفترة من 605-617م في عهد الإمبراطور Yang Guang من أسرة "وسى" التقى رجل في تلال المدينة بأسد يستطيع الكلام، وقد أخبر الأسد هذا الرجل قائلا: "بالقرب من جبال المدينة يوجد ثلاثة كهوف توجد داخلها كمية من الأسلحة كما يوجد في أحد هذه الكهوف حجر أسود منحوت عليه كتابات بيضاء، إذا قرأت هذه الكتابات ربما

---

3 المصدر السابق.

4 **كتاب تاريخ أسرة تانغ القديم** (Old Tang Shu) الفصل 148، سجلات حول العرب (باللغة الصينية).

قد تصبح ملكاً، سمع الرجل حديث الأسد وذهب إلى الكهوف وهناك وجد الحجر الأسود والأسلحة وكانت الكتابات على الحجر الأسود تحضه عل الثورة.[5]

هذه الرواية لا تزال محفوظة في كتاب أسرة تانغ القديم وهي كما نرى رواية مشوشة إلاّ أنها واضحة الدلالات فهي تتحدث عن بدايات الدعوة منذ كان الرسول ﷺ يختلي بنفسه في غار حراء ونزول الوحي المبارك عليه ثم صراعه مع خصوم الدعوة وهجرته إلى يثرب حيث أصبح سيدها الأول. والحديث عن معرفة صينية بالرسول ﷺ وأنشطته إبّان حياته حديث يتناثر هنا وهناك في مصادر صينية وغربية وهو أمر لا يجب التقليل من شأنه.

على كل حال لنا ما يدعم رأينا في أنه يبدو أن القيادات الجديدة في شبه الجزيرة العربية لم تسقط الصين من حساباتها وهم يخططون لبدء حملتهم المقدسة لنشر دينهم الحنيف، إذا تمتلئ مصادر صينية معظمها يعود إلى أسرة مينغ مثل تاريخ أسرة مينغ وكتاب Great Ming Geography، وكتاب **حياة محمد** للكاتب الصيني المسلم Liu Chih، هذا فضلاً عن كتاب تاريخ فوجيان. كما تحتفظ عدة مساجد صينية حتى الآن بنقوش على الحجر تتحدث عن أخبار هؤلاء الرجال القادمين من المدينة، وذلك مثل النقش الموجود في مسجد دينغتشو بمقاطعة "خبى" والمنقوش على يد "يانغ شوى" حوالي عام 1348م، كما رأيت شخصياً أثناء زيارتي لـ Quangzhou نقوشاً مشابهة في مسجد تشنغجينغ القديم، وقد نقشت هذه الكتابات على يد "وو جيان" في حدود عام 1350م، كما تحتوي بعض الدراسات لكتاب غربيين أيضاً على إشارات لوفود عربية جاءت من مكة والمدينة بعضهم جاء إلى الصين من أجل الدعوة، والبعض جاء في مهمات دبلوماسية رسمية.[6]

وتؤكد مصادر أسرة مينغ والمصادر التي تلتها أن أربعة رجال من شبه الجزيرة

---

[5] المرجع السابق.

[6] F. S. Drake, "Mohammedanism in Tang Dynasty", *Monvmenta Serica*, Journal of Oriental Studies of the Catholic University of Peking, pp.26,27.

وانظر أيضا: إبراهيم فنغ جين يوان، مصدر سابق، ص1-11.

العربية جاءوا إلى الصين أثناء حياة الرسول ﷺ بغية نشر الإسلام بها، وقد استقر أولهم في Guang Zhou، بينما استقر الثاني في Yang Zhou، وانتهى المقام بالصحابيين الثالث والرابع إلى Quang Zhou.[7]

نعتقد ـ كما يعتقد مؤرخون صينيون معاصرون ـ أن قبور الصحابة الأول والثالث والرابع معروفة بالمدن التي حلوا بها حيث يقوم المسلمون بزيارتهم خلال مواسم الأعياد الإسلامية. أما قبر الصحابي الثاني فلم يعثر عليه إلاّ مؤخراً في مدينة Yang Zhou وقد وجد بداخل ذلك القبر كأس زرقاء مكتوباً عليها بالعربية (الله أكبر).[8] وبناءً على هذا الاكتشاف يعتقد الباحث الصيني Tshu Jiang من متحف Yan Zhou أن صاحب القبر وبالتالي الإسلام جاءا إلى الصين خلال حكم الإمبراطور Gao Zu (618–626م).[9] ويتفق كتاب تاريخ فوجيان مع هذا الرأي، إذ يحدد هذا الكتاب ذات الوقت لوصول أول بعثة دينية من شبه الجزيرة العربية إلى الصين.[10]

على كل حال لا يزال الجدل في الأوساط الأكاديمية الصينية دائراً حول التاريخ الحقيقي لوصول هؤلاء الرجال، فبينما يذهب باحثون صينيون إلى أن هذه القبور ربما تكون قد ظهرت بعد انتهاء فترة أسرة تانغ مشيرين إلى أنه لا يوجد أي دليل أثري داخل هذه القبور يمكن إعادته لفترة أسرة تانغ،[11] يؤكد أساتذة آخرون مثل السيد Lui Ro Li أستاذ الفنون الجميلة بجامعة نانجين الذي زار القبور الواقعة في مدينة Quang Zhou في عام 1983م بأن قوائم وسراديب وأعمدة تلك القبور هي بحد ذاتها مخلفات أثرية ترجع لفترة أسرة تانغ،[12] وفي عام 1984م اتفق العالم الصيني Yang Hong Shui Wen مع ما ذهب إليه الأستاذ Lui وأضاف قائلاً: "إن سراديب القبرين المعنيين تتخذ شكل حدوة الحصان وقوائمها معروفة وتتخذ شكل المغزل، وأن هذا الأسلوب

---

7 المصدر السابق، وانظر أيضاً: Lao Qing، "المسلمون في مدينة يانجو: الماضي والحاضر"، **مجلة بناء الصين**، العدد التاسع، سبتمبر 1989م، ص41؛ وإبراهيم فنغ جين يوان، مصدر سابق، ص1-5.

8 Lao Qing، مصدر سابق، وانظر أيضاً: إبراهيم فنغ جين، مصدر سابق، ص9.

9 إبراهيم فنغ جين، مصدر سابق، ص9.

10 انظر: إبراهيم فنغ جين، مصدر سابق، ص8؛ Lao Qing، مصدر سابق.

11 إبراهيم فنغ جين، مصدر سابق، ص8.

12 المصدر السابق، الصفحة نفسها.

المعماري الصيني للقبور استخدم خلال عهد الأسرتين الشمالية والجنوبية (265–589م).[13]

وقد زرت بنفسي القبور الواقعة في مدينة Quang Zhou في يونيو 1997م حيث لاحظت أن أعمدة وقوائم القبرين تشبه إلى حد كبير الأعمدة المستخدمة في القبور الصينية الأخرى التي ترجع تاريخيا لأسرة تانغ الملكيّة في الصين والمنتشرة في مناطق مختلفة من البلاد.[14]

إنني مع كثير من الباحثين الصينين أميل إلى أن هذه القبور قد تكون قبور هؤلاء الرجال المجهولين الذين جاءوا من مكة أو المدينة بوصفهم أول بعثة تبشيرية إسلامية إبّان حياة الرسول ﷺ، جاءوا بطلب منه شخصياً أو بوصفهم متطوعين لنشر الدين الجديد.

إلاّ أن مصادر أخرى ترصد أيضاً بعثة يبدو أنها ذات طابع رسمي قادمة أيضاً من الجزيرة العربية حيث يؤكد القس Findly Andrew أنه على الأقل "لنا سجل واحد عن زيارة قامت بها بعثة عربية إلى الصين خلال حياة الرسول ﷺ، حيث قامت تلك البعثة بزيارة البلاط الإمبراطوري في العاصمة Xi An "شيان الحالية" وبعد انتهاء مهمة البعثة عادت إلى الجزيرة العربي مخترقة وسط آسيا ثم بلاد فارس ووفقاً للتقاليد الصينية فإن الإمبراطور أرسل مع البعثة من يدلها على طريق عودتها إلى موطنها.[15]

إنني أميل إلى احتمال أن يكون هناك ثمة وفد عربي أُرسل إبّان حياة الرسول ﷺ أو تطوّع بعض الصحابة للذهاب للصين لتبليغ الدعوة، علما بأن الرسول ﷺ كان قد أرسل في سنة 7هـ الموافق 628م وفوداً إلى ملوك الفرس، والروم، والحبشة وغيرهم لتبليغهم الدعوة الجديدة.[16] وكان الرسول الكريم ﷺ قد سافر عدة مرات إلى الشام

---

13 المصدر السابق، الصفحة نفسها. وانظر جعفر كرار أحمد، **العلاقات الصينية العربية**، رسالة دكتوراه بجامعة نانجين، 1995م، ص14-18.

14 زيارة علمية للكاتب لدراسة النقوش والكتابات العربية لمجموعة قبور لغرب ومسلمين تعود للفترة من أسرة تانغ الملكية إلى أسرة مينغ الملكية في مدينة Quangzhou، يونيو 1997م.

15 Rev. G. Findlay Andrew, O. B. E., "Islam in North-west China to Day". *Journal of the Royal Central Asian Society*, Vol. XIX, January 1932, p.90. See also O. C. Craw Ford. *The Apeal of Mhammedanism to the Chinese Mind*, n. d., Yen Ching University Library, Soochow, p.2.

16 ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، علق عليه وراجعه نخبة من العلماء (بيروت: دار الكتاب العربي، د. ت) ج2، ص143.

حيث لابدّ أنه التقى بتجار صينيين أو عرب وفرس قادمين من الصين،[17] كما كانت مكة قبل الإسلام تعرف الحرير الصيني الفاخر ومرايات البرونز الصينية، هذا فضلاً عن أن بعض النساء في مكة والمدينة وضواحيها كن يحملن أسماء صينية مثل الاسم "مي" Mei وتعني في الصينية الجمال، ومن المحتمل ـ كما يقول المؤرخ العراقي المخضرم هادي العلوي ـ أن نساءً صينياتٍ قد وصلن إلى المشرق العربي في غضون العصر الجاهلي يحملن هذا الاسم فأعجب به العرب واقتبسوه لبناتهم، وكانت حبيبة النابغة الذبياني تحمل هذا الاسم.[18]

كما لا يفوتنا أن نذكر أن أبا زيد الحسن السيرافي نقل عن ابن وهب بني هبار بن الأسود القرشي الذي خرج من البصرة إلى الصين في 258هـ الموافق 871م أنه التقى ملك الصين الإمبراطور Yi Zong (859-873م)، وأن ملك الصين عرض عليه صور بعض الأنبياء مثل: نوح في السفينة، وموسى، وعيسى على حماره والحواريون معه، ثم محمد ﷺ وأصحابه محدقون به في أرجلهم نعال عربية" وكان المسعودي نفسه قد نقل خبر ابن وهب عن أبي زيد السيرافي[19] أن رحلة ابن وهب القرشي رحلة حقيقية، كما أن المراجع التي نقلت عنه كالسيرافي في كتابه القيم أخبار الهند والصين والمسعودي في مروج الذهب مراجع رصينة وجادة وموثوق بها، فمن أين جاء الصينيون بصورة الرسول الكريم ﷺ، هل كان ذلك عن طريق المشاهدة المباشرة أم عن طريق وصف التجار والمبعوثين العرب لرسولهم الكريم. وكان الصينيون في ذلك الوقت مولعين بالرسم والتصوير كعادتهم اليوم، وقد أشار ابن بطوطة إلى هذه العادة.

أما لماذا أغفلت المصادر العربية ذكر هذه البعثة التي قدمت إلى الصين إبان حياة

---

17 المسعودي، **مروج الذهب ومعادن الجوهر**، تحقيق محمد محيي الدين عبد الحميد، ج2، ص278.

18 هادي العلوي "من تاريخ العلاقة بين الحضارتين الصينية والإسلامية"، **مجلة المدى الثقافية** بنيقوسيا، قبرص، العدد الأول، 1993م، ص27.

19 أبو زيد السيرافي، **رحلة السيرافي إلى الهند والصين** (بغداد: منشورات البصري، 1961) ص72-73، وانظر أيضا المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج1، ص144؛ وانظر

*An Ancient Account of India and China*, By two Mohamedans Travellers, who went to those Parts in 9th Century, Translated from Arabic by Eusebius Renovdot, London, MDCCXXXIIL, pp. 51-58.

الرسول الكريم ﷺ فإننا نقول: إن المصادر العربية أغفلت أيضاً أحداثاً مهمة في مسيرة العلاقات الصينيّة العربيّة، مثل تجاهلها لخبر إرسال الخليفة أبو جعفر المنصور مساعدات عسكريّة إلى أمير منطقة Kuang-Ping الأمير Dai Zong Li Yu (الذي أصبح فيما بعد إمبراطورا للصين) في حوالي عام 756م وذلك لاستعادة عاصمتيه شيآن ولويانغ.[20]

وهكذا نرى أن أول نداء عربي للاهتمام بالصين كان قد خرج من منطقة شبه الجزيرة العربية على لسان رسولنا الكريم ﷺ، وكما يبدو أن أول بعثة عربية ثقافية للصين كانت أيضاً من شبه الجزيرة العربية.

واصل البلاط الصيني مراقبته للأحداث في شبه الجزيرة العربية عن كثب إذ يشير كتاب تاريخ أسرة نانغ القديم إلى تزايد قوة المسلمين في شبه الجزيرة العربيّة وتقدمهم تجاه المدائن، يقول هذا المصدر: "جمع هذا الرجل عدداً كبيراً من الناس وعبر بهم النهر (غالباً دجلة) واستطاع بجيشه الكبير أن يهزم الفرس والروم".[21]

وفي الوقت الذي كان البلاط الصيني يراقب الأحداث ويقيم طبيعة القوى الجديدة الناهضة في جزيرة العرب يبدو أنه أيضاً قرر عدم البدء في عداء حكام مكة الجدد وعلى الأقل فضلت القيادة الصينية الانتظار وعدم التورط في عداء القوى الجديدة على الرغم من النداءات المتكررة من القوى العظمى في ذلك الوقت (الفرس والروم) وأيضاً من جيرانهم المباشرين في آسيا الوسطى، إلاّ أن المصادر الصينية تحدثنا بأن التغيير العنيف الذي حدث في شبه الجزيرة العربية قد وصل أثره إلى الصين، إذ تؤكد كل من المصادر الصينية والعربية على وصول سفارة فارسية أرسلها ملك الفرس "يزدجرد" إلى البلاط الصيني تطلب العون العسكري ضد العرب وكان ذلك سنة 638م الذي تزامن مع فترة حكم الإمبراطور الشهير Tai Zong (626-649م).[22]

بعد خمس سنوات من خبر تلك البعثة الفارسية شوهدت بالبلاط الصيني بعثة

---

20 **كتاب تاريخ أسرة تانج القديم Old Tang Shu**، الفصل 221 (باللغة الصينية).
21 **كتاب تاريخ أسرة تانج القديم**، سجلات حول العرب، الفصل 148 (باللغة الصينية).
22 **كتاب تاريخ أسرة تانج الجديد Xin Tang Shu**، الفصل 221 (باللغة الصينية).

رومانية أخبرت الإمبراطور "بأن العرب قد هزموهم وأجبروهم على دفع الجزية"[23] وفي سنة 642م وقف ملك الفرس يزدجرد وقفته الأخيرة ضد العرب المسلمين الذين تمكنوا من هزيمته هزيمة ساحقة معلنين نهاية الأسرة الساسانية التي سيطرت لمدة طويلة على بلاد فارس وجزء من بلاد العرب.

وما يهمنا هنا أن كلاً من الإمبراطوريتين الفارسيّة والرومانيّة قامت بإرسال البعثات وطلب العون العسكري من الصين قد دقّ ـ هذا الأمر ـ عالياً ناقوس الخطر في البلاط الملكي الصيني منبهاً إلى خطورة القوى الإيديولوجية والعسكريّة الجديدة الناهضة في شبه جزيرة العرب. بعد سنوات قليلة من انهيار الإمبراطوريّة الفارسيّة وأفول شمس الأسرة الساسانيّة أرسل "فيروز" ابن الإمبراطور الفارسي يزدجرد (تطلق عليه الحوليات الصينية اسم Pi-Lu-Ssu) في عام 650م طلباً عاجلاً لإمبراطور الصين Gao Zong (649–683م) "يطلب مدداً عسكريّاً صينيّاً ضد العرب المسلمين ولكن الصينين لم يتسجيبوا لمناشدته العاجلة بإرسال قوات متعللين ببعد المسافة بين الصين وبلاد فارس".[24]

يقول Marshall Broom Hall في كتابه **الإسلام في الصين**: "لم يسد الصينيون آذانهم كلية إزاء طلب فيروز ابن الإمبراطور الفارسي المهزوم بإرسال الدعم العسكري إذ أوفدوا بعثة إلى خليفة المسلمين عثمان بن عفان وذلك من أجل المرافعة عن قضية الإمبراطورية الفارسية التي أفلت شمسها وحتى لا يكون ذلك مصير الصين".[25] ويبدو لنا أنه كنتيجة لتلك البعثة الصينية فإن الخليفة عثمان بن عفان والذي كان ما يزال في أوج قوته قد أرسل أحد قادته الكبار ومعه ردٌّ رسمي إلى البلاط الصينيّ وقد استقبل ذلك القائد الإسلاميّ استقبالاً لائقاً بسيانفو Sianfu وكان ذلك سنة 651م التي توافق العام الثاني لحكم الإمبراطور Gao Zong".[26]

---

[23] Broom Hall, Marshal, op. cit., p.12.

[24] **كتاب تاريخ أسرة تانج الجديد**، الفصل 221 (باللغة الصينية)، Broom Hall, Marshal, op. cit., p.12.

[25] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

[26] المصدر السابق، الصفحة نفسها.

ويحفظ لنا كتاب تانغ القديم أول سجل لوفد دبلوماسي من شبه الجزيرة العربية، يقول كتاب Old Tang Shu: "في سنة 651م قام ملك تاشي Ta-Shi ولأول مرة بإرسال مبعوث محمل بالهدايا إلى بلاط الصين معلناً أن العرب قد انتظموا تحت إمرة ملك واحد قبل 34 عاماً تعاقب خلالها ثلاثة ملوك"،[27] ويذكر المصدر نفسه السابق تفاصيل أوفر ويقول: "العرب قوم فارعو الطول وجوههم ملتحية ونساؤهم جميلات ولهم لغتهم الخاصة بهم، وهم يربّون الإبل والخيل وسيوفهم تمتاز بأنها حادة، وهم شعب مقاتل شجاع وأراضيهم صحراويّة لا يمكن زراعتها وطعامهم الرئيسي لحوم الإبل وألبانها فضلاً عن الأرز وبعض أنواع الأطعمة الأخرى وقد تمكنوا في الفترة من 661–663م من هزيمة الإمبراطوريتين الفارسية والرومانية الشرقية، كما قاموا بإرسال أكثر من 400.000 مقاتل لغزو بلاد الهند حيث تمكنوا من فتح كثير من أرجائها".[28]

وتذكر الحوليات الصينية التي تغطي 150 عاماً (651–800م) خبر أربعة وثلاثين سفارة عربية إسلامية إلى بلاد الصين تمتد من فترة الخلفاء الراشدين والدولة الأموية إلى بداية عهد العباسيين (750–847م) حيث أوفد في تلك الفترة كل من أبي العباس المنصور، والمهدي، والهادي، وهارون الرشيد بعثات إلى الصين. وفي هذا الصدد فإن موسوعتي Tang Shu و Ce-Fu-Yuan-Gui الإمبراطوريتين تذكران أن عدد السفارات العربية الإسلامية إلى الصين خلال فترة الدولة الأموية بلغ سبعة عشرة سفارة فضلاً عن خمس عشرة سفارة أوفدتها الدولة العباسية وسفارتين آخرين أرسلتا إبان حكم الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه.[29] ويبدو أن الدبلوماسيين القادمين في سفارات عام 655م كانوا أيضاً من شبه الجزيرة العربية. ومنذ ذلك التاريخ (651م) وحتى نهاية أسرة تانج وردت عشرات الوفود الدبلوماسية العربية إلى الصين. كما أنه نتيجة للاستقرار السياسي بالصين إبان فترة حكم أسرة Tang التي امتازت بالسلم والهدوء

---

27 **كتاب تاريخ أسرة تانج القديم**، سجلات حول الأمم الغربية، الفصل 198 (باللغة الصينية).

28 المصدر السابق، الفصل نفسه.

29 انظر: **كتاب تاريخ أسرة تانج القديم**، الفصل 198، وانظر أيضا: Ce-Fu- Yuan Gui (أرشيف الموسوعة الإمبراطورية) الفصول 970–976 (باللغة الصينية)؛ فيصل السامر، **الجذور التاريخية للحضارة العربية الإسلامية في الشرق الأقصى**، ص46.

والتماسك لفترة امتدت لأكثر من قرنين من الزمان شهد خلالها الجانبان الصيني والعربي تبادلات ثقافية وعلمية ثرة، وكان العرب في هذه الفترة قد أصبحوا قوة دولية عظمى وحلوا محل الإمبراطوريتين الرومانية والفارسية، كما أدرك الجانبان العربي والصيني أنهما أصبحا القوتين العظميين الوحيدتين في العالم وتجنبا قدر استطاعتهما الدخول في صراعات ومواجهات لا يستفيد منها أحد، بل سعى الطرفان للاحتفاظ بعلاقات ودية تعود بالمنفعة على كليهما، وهكذا وجد العرب والصينيون أنفسهم المسيطرين والوحيدين الحقيقيين على الطرق التجارية المهمة والممرات المائية الاستراتيجية في البحر الأحمر والخليج العربي والمحيط الهندي.

كان نقل العاصمة العباسية إلى بغداد حدثاً تجارياً وسياسياً مهماً وذلك لقربها من الموانئ المهمة التي كانت تمر بها التجارة مع الشرق الأقصى كميناء الأبله، وسيراف، والبصرة على الخليج العربي وموانئ عمان التي كانت تؤدي دورين مزدوجين باعتبارها طرقاً للتصدير والاستيراد ومحطات لتخزين البضائع الواردة من الهند والصين وإفريقيا. كما أسهم إنشاء بغداد في زيادة حجم التجارة العربية مع الموانئ الصينية الأربعة الرئيسة Hang Zhou، وGuang Zhou، وYang Zhou، وQuang Zhou، كما أن الخليفة المنصور نفسه كان جاداً في تقوية علاقاته مع الصين وذلك لإدراكه للأهمية السياسية والاقتصادية للشرق الأقصى وخصوصاً الصين، وفي هذا يذكر المؤرخ أبو جعفر الطبري عندما قام الخليفة المنصور بوضع حجر الأساس لبغداد لتكون عاصمة جديدة للخلافة العباسية وكان ذلك سنة 762م قال: "هذا دجلة ليس بيننا وبين الصين شيء".[30] وكان هناك عامل ساعد على تطوير التبادل التجاري بين الصين والعرب وهو السياسة الاقتصادية الرشيدة لأسرة تانج Tang التي كانت تحكم الصين، وكان أساس تلك السياسة حماية حقوق التجار العرب والأجانب واحترام معتقدات وثقافات الآخرين، وفي هذا الصدد يذكر سليمان التاجر السيرافي "أن بخانفو رجلاً مسلماً يوليه صاحب الصين وذلك إن كان في العيد صلى بالمسلمين وخطب ودعا

---

30 الطبري، **تاريخ الرسل والملوك**، تحقيق محمد أبو الفضل إبراهيم (القاهرة: دار المعارف، ط4) ج7، ص614؛ ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج5، ص14.

لسلطان المسلمين وأن التجار العراقيين لا ينكرون في ولايته شيئاً من أحكامه وعمله بالحق وبما في كتاب الله عزّوجلّ وأحكام الإسلام".[31]

إن الظروف الجديدة لبناء بغداد في عام 145هـ الموافق 762م،[32] والعطف الذي كان يلاقيه تجار ومواطنو شبه الجزيرة العربية والخليج العربي من حكام أسرة تانغ جعلت من العلاقات التجارية بين الخليج العربي والصين أول مظهر من مظاهر العصر الذهبي الذي ساد هذا الطريق التجاري الدولي المهم في زمن العباسيين. فانطلقت رحلات أبناء الخليج العربي من مراكز التجمع التجاري والموانيء على سواحل الخليج نفسه من البصرة وسيراف والبحرين تمخر عباب البحر عبر مضيق هرمز قاصدة موانيء ساحل عمان للتوقف في صحار ومسقط ومن هناك إلى الصين.

ونستطيع بسهولة أن نرصد الحركة التجارية وحركة النقل المستمرة من الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية إلى الصين في كثير من المصادر العربية والصينية العائدة إلى تلك الحقبة. وعلى سبيل المثال لا الحصر يقول المقدسي عن صحار: "صحار قصبة عمان ليس على بحر الصين اليوم بلد أجل منه عامر آهل وذو يسار دهليز الصين وخزانة الشرق"،[33] ويقول المقدسي أيضاً عن عدن ميناء شبه الجزيرة العربية المهم: "أما عدن فهي دهليز الصين ومعدن التجارات.[34] ويقول ابن خرداذبة (ت912م) عن عدن: "هي ميناء اليمن العظيم وملتقى تجارات الهند والصين وبها متاع الهند والصين".[35] كما أشار ابن رسته في **الأعلاق النفيسة** (الذي ألفه بين عامي 902-912م) إلى هذا الميناء فقال: "إن بها مرفأ ومراكب الصين وشلاهيط".[36] ونلاحظ أن المقدسي قد ربط كل أقليم شبه الجزيرة العربية بالتجارة وطرقها مع الصين، يقول

---

31 السيرافي، **رحلة السيرافي إلى الهند والصين**، مصدر سابق، ص34، وانظر
*An Ancient Account of India and China*, op. cit. pp.7-8

32 ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، ج5، ص14.

33 المقدسي المعروف بالبشاري، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم** (ليدن: مطبعة بريل، ط2، 1906م) ص92.

34 المصدر السابق، ص85.

35 أبو القاسم عبيد الله بن عبد الله (ابن خرداذبة)، **المسالك والممالك** (بغداد: مكتبة المثنى، بريل، 1889) ص61.

36 أبو علي أحمد بن عمر بن رسته، **كتاب الأعلاق النفيسة** (ليدن: مطبعة بريل، 1892م) ج7، ص319.

وهو يتحدث عن هذا الإقليم: "والتجارات في هذا الإقليم مفيدة وأن بها فرضتي الدنيا وسوق منى والبحر المتصل بالصين وجدة والحجاز واليمن، وإلى عمان يخرج آلات الصيادلة والعطر"،[37] ثم يعدد المقدسي صادرات وواردات الموانئ الخليجية ويختم وصفه للتجارة في هذا الإقليم بقوله: "وبتجارات الصين تضرب الأمثال".[38]

كما ربطت المصادر العربية بشكل واضح بين موانئ شبه الجزيرة العربية والصين إذ يقول ابن رستة: "والبحر الذي يركبون منه من البصرة إلى الصين بحر واحد وماء واحد متصل إلى الصين والهند"،[39] ويقول المسعودي في كتابه **التنبيه والأشراف**: "البحر الحبشي هو بحر الصين والسند والهند والزنج والبصرة والأبله وفارس وعمان والبحرين والشحر واليمن".[40] ويؤكد ابن خردذابة ذات المفهوم والمنظور المهم بل يزيد عليه ليؤكد أن تجارة الصين مع العرب لابدّ أن تمر بالخليج العربي، تبدأ من الخليج وشبه الجزيرة العربية وتنتهي هناك أيضا"،[41] يقول ابن خردذابه: "كان التجار اليهود يخرجون من الفرما في مصر ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الحجاز وجدة ثم يمضون إلى السند والهند والصين، فيحملون من الصين المسك والعود والكافور ثم يعودون إلى القلزم ثم الفرما ثم الفرات ثم إلى بغداد ثم يركبون دجلة إلى الأبله إلى عمان إلى السند والهند والصين كلّ ذلك متصل ببعضه البعض".[42]

أما ابن الفقيه فيقول في مختصر البلدان: "من أراد الصين أو عدن أو شلاهيط أخذ من ناحية المغرب على اليمامة وعمان ومن أراد السند أخذ من ناحية فارس على سيراف".[43]

ويربط الإصطخري (ت957م) صاحب كتاب **الأقاليم** بين سواحل الخليج العربي

---

37 المقدسي، **أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم**، مصدر سابق، ص97.

38 المصدر السابق، الصفحة نفسها.

39 ابن رسته، مصدر سابق، ص89.

40 المسعودي، **التنبيه والإشراف**، مراجعة عبد الله إسماعيل الصاوي (القاهرة: د. ن، 1938م) ص51.

41 ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص153-154.

42 المصدر السابق، الصفحات نفسها.

43 ابن الفقيه، أبو بكر أحمد بن محمد الهمداني، **مختصر كتاب البلدان** (ليدن: مطبعة بريل، 1885م) ص9.

والصين عندما يقول: "القلزم ينتهي إلى الأبله، يطوف بحدود ديار العرب إلى عمان ثم يقطع عرض دجلة وينتهي إلى الساحل، ثم إلى مهروان، إلى سيراف، ثم إلى سواحل هرمون ثم ساحل السند وينتهي إلى حد ديار الإسلام إلى الملبان ثم يتجه إلى سواحل الهند وينتهي إلى سواحل التبت فيقطعها إلى أرض الصين".[44]

أما عن المسالك والطرق التجاريّة السالكة بين الصين وشبه الجزيرة العربيّة والخليج فإن المصادر العربيّة والصينيّة تعطي تفاصيل أوفر تتعلق بهذه المسالك.

وحسب هذه المصادر فإن رحلات أبناء الخليج العربي التجارية إلى الصين تبدأ من البصرة أو سيراف أو البحرين حيث تسير المراكب إلى موانئ عمان للتزود بالمياة وتشحن البضائع في صحار ومسقط، ومن عمان تسلك هذه السفن طريقين أحدهما تسير عليه بعض السفن مباشرة عبر المحيط الهندي إلى "كولم ملي" وهي كويلون حاليا" في الهند وتفضل هذا الطريق السفن الكبرى التي تقصد الصين مباشرة، أما الطريق الثاني من مسقط وصحار فكان يسير بحذاء الساحل ماراً بأهم مراكز التجارة العربية في بلاد السند مثل: الديبل والمنصورة وتسلك هذا الطريق السفن المتوسطة الحجم التي ترغب في التبادل التجاري مع تلك الموانئ وحمل منتجاتها إلى الصين، لتلتقي مرة أخرى مع سفن الطريق الأول عند كولم ملي محطة الإبحار إلى الصين.[45]

كما ترصد المصادر العربية طريقين تسلكهما السفن الخليجية إلى الصين بعد وصولهم إلى كولم ملي، الأول تتابع فيه السفن المتوسطة الطواف حول جنوب الهند إلى جزيرة سرنديب (سيلان) ثم إلى ملقا (الملايو) ثم أخيراً إلى الصين.[46] أما الطريق الثاني فتسلكه السفن الكبيرة التي تتابع إبحارها مباشرة من كلولم ملي إلى سرنديب ثم نيكوبار الحالية ثم إلى كله بار بالساحل الغربي لشبه حزيرة ملقا وتسلك سفن الخليج

---

[44] الاصطخري، الشيخ ابن إسحاق الفارسي، **كتاب الأقاليم**، حققه Beckeriane, J. H. Moeller، ص15.

[45] السيرافي، **رحلة السيرافي إلى الهند والصين**، مصدر سابق، ص34-38؛ وانظر أيضاً ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص62؛ وسليمان إبراهيم العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي** (القاهرة: مطبعة المدني، 1972) ص132.

[46] ابن خرداذبه، مصدر سابق، ص63-66؛ وسليمان إبراهيم، مصدر سابق، ص132-133، وانظر أيضا: *An Ancient Account of India and China*, op. cit.

العربي الكبيرة والصغيرة من ميناء كله بار مرة أخرى طريقاً واحداً إلى بلاد الصين، حيث تعبر مضيق ملقا باتجاه أبواب الصين وهي عبارة عن جبال في البحر تمر بينها المراكب، ومن هناك إلى خانقو Guangzhou.[47] وتعليقاً على خانقو خاتمة مطاف رحلات سفن الخليج العربي يقول المسعودي: "خانقو وهي مدينة عظيمة على نهر عظيم أكبر من دجلة يصب إلى بحر الصين وبين هذه المدينة والبحر مسيرة ستة أيام أو سبعة تدخل هذا النهر سفن التجارة الواردة من بلاد البصرة وسيراف وعمان ومدن الهند وجزائر الزابج".[48]

ويحدثنا برزك (القرن العاشر) عن رحلة العودة مشيرا إلى أن السفن تأخذ الطريق نفسه حتى تصل ميناء راسبوت على الساحل الجنوبي لشبه الجزيرة العربية أو على أية نقطة أخرى ملائمة على ساحل الشحر أو المهره ثم تسير السفن شرقاً على طول الساحل حتى تصل إلى خليج عمان.[49] وينقل جورج حوراني عن السيرافي صاحب **أخبار الهند والصين** والمسعودي بأن رحلتي الذهاب والعودة من الصين على هذا المنوال تستغرق عاماً ونصف العام بما فيها زمن الإبحار والانتظار في الموانئ.[50]

هذا ما حفظته لنا المصادر العربية من حيث موقع وأهمية مدن وموانئ شبه الجزيرة العربية والخليج العربي حول التجارة مع الصين، والطرق والمسالك التي كان يسلكها عرب الخليج طوال فترة أسرة تانغ والممالك الخمسة في الصين، وأول ما يلفت الانتباه ذلك الربط المحكم الذي عكسته المصادر العربيّة إبّان تلك الفترة بين منطقة شبه الجزيرة العربية والخليج والديار الصينيّة، حتى بدت وكأنها كلها تابعة لإقليم واحد.

إلاّ أن المصادر الصينيّة هي الأخرى نجدها قد ربطت أيضاً وبقوة بين منطقة شبه

---

47 السيرافي، **رحلة السيرافي إلى الهند والصين**، مصدر سابق، ص34-38، وانظر أيضا
*An Ancient Account of India and China*, op. cit., pp.9-11.

48 المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج1، ص138.

49 برزك بن شهريار الناخداة الرامهرمزي، **كتاب عجائب الهند بره وبحره وجزائره** (ليدن: مطبعة بريل، ط1، 1883م) ص64، 91.

50 جورج فضلو حوراني، **العرب والملاحة في المحيط الهندي**، ترجمة يعقوب بكر (القاهرة: مطابع دار الكتاب العربي/نيويورك: مؤسسة فرانكين للطباعة والنشر، 1958م) ص221.

الجزيرة العربيّة والخليج وموانئ ومدن الصين، فالعالم الجغرافي الصين المعروف جيادان (730–805م) يقول في كتابه الطريق إلى البلدان الأجنبيّة عبر البحار إلى Guang Zhou وهو يصف الطريق من الصين إلى منطقة الخليج العربي وشبه الجزيرة العربيّة يقول: "تقع في غرب الطريق الجنوبي لخليج عدن" وإذا اتجهت شمالاً ثم شرقاً ومررت بعدة بلدان وبعد زهاء 36 يوما فإنك قد تصل إلى Mu Xum "صحار في عمان" وإذا سافرت من Mu Xun في اتجاه الشمال الشرقي وقضيت أحد عشر يوماً فإنك تصل إلى ميناء Wu La (الأبله) عند مصب نهر الفرات، وإذا مضيت باتجاه الشمال الغربي وقطعت ألف لي (لي = نصف كيلومتر) براً ومررت بمدينة Mo-Luo (البصرة) فإنك تصل إلى Bang-Da (بغداد) عاصمة الخليفة".[51]

وقد أشار جيادان إلى طريق آخر يبدأ من قوانجو إلى ملقا ثم غرباً إلى عدن على البحر الأحمر.[52]

وتحدد المصادر الصينية طريقاً آخر أطلقت عليه طريق البخور ويبدأ هذا الطريق من مدينة Yang Zhou الحالية وينتهي في صحار في عمان.[53]

ويقول المسعودي ـ الذي يؤكد باستمرار أن سفن الصين كانت تصل إلى الخليج قبل وإبان الفترة العباسية ـ": "وذلك أن مراكب الصين كانت تأتي بلاد عمان وسيراف وساحل فارس وساحل البحرين والأبله والبصرة وكذلك كانت المراكب تختلف من المواضع التي ذكرنا إلى ما هناك".[54]

ونلاحظ أن وصف المسعودي للمواقع التي تصلها سفن الصين يتوافق إلى حد كبير مع وصف المصادر الصينية للطرق والموانئ العربية المعروفة لديهم في الخليج.

ويبدو أن معلومات الصينيين عن الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية لم تكن

---

51 Zhang Jun Yan, *The Relation Between China and the Arabs in Early Times*, paper presented at the Omani Studies Symposium, Nov. 1980.

52 Lao Qing، مصدر سابق، ص67.

53 المصدر السابق، ص17.

54 المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج1، ص140.

قاصرة على كتب الجغرافيا، بل إن رحالة صينيين زاروا منطقة الخليج ومنهم Du Huan ابن أخ المؤرخ الصيني المعروف Du Yu (735–812م) مؤلف كتاب Tung Dian، وكان Du Huan قد وقع في الأسر إبان معركة تالاس بين العرب والصينيين في يوليو 751م، وأخذ إلى الكوفة العاصمة العباسية آنذاك واستقر في البلاد العربية لأكثر من 12 عاماً وعاد إلى الصين على ظهر سفينة تجارية صينية أبحرت من إحدى موانئ الخليج العربي عام 762م ليكتب تفاصيل زيارته للدول العربية في كتابه Jing Xing Ji (سجلات السفر)، حيث وصف الحياة في الكوفة والخليج وأجزاء أخرى من العالم العربي.[55]

كما أرسل حكام أسرة تانغ رحالة آخر للبلاد العربية وهو Da Xi Hong Tong، ويقول المؤرخ الصيني المعاصر Zhang Guang Da: "إن Du Huan و Da Xi Hong قد زارا 36 دولة ومن ضمن هذه الدول أجزاء من شبه الجزيرة العربية".[56]

و لم يكن الرحالة الصينيون هم وحدهم الذين يجوبون المنطقة في ذلك الوقت فقد سبق الرحالة الخليجيون رصائفهم العرب في الوصول إلى الصين وتسجيل ملاحظاتهم عنها، فقبل أكثر من مائة عام من رحلة السيرافي المشهورة قام الرحالة العماني ابن عبيدة عبد الله بن القاسم منطلقاً من الساحل العماني زهاء عام 753م بزيارة الصين.[57]

ونعتقد أن ابن عبيدة لم يكن رحالة فقط فلابدّ أنه كان تاجراً أيضاً، إذ ترصد المصادر العربيّة أسماء الكثير من التجار والأسر الخليجية الذين امتلكوا السفن للتجارة مع الصين والهند مثل محمد بن الريدوم السيرافي وعبهرة الربان وأبو بكر أحمد السيرافي الذي امتلك سفناً ضخمة للتجارة مع الصين وكانت الوثائق الصينية قد ذكرت بعض كبار التجار الأثرياء مثل التاجر البصري المشهور النزار بن ميمون، وهومن أغنياء

---

55 *Du Huan Travel's*, quoted from Du You's Tung Dian.

56 Zhang Guang Da, *An Outline of the Historic Relations between China and Arabs in the Early Era*, edit. by Zhou Yi Liang, The history of Sino-Foreign Cultural Intercourse (Hunan the People's Publishing House, 1987, p.754.

57 عبد المنعم عامر، **عمان في أمجادها البحرية** (القاهرة: مطبعة سجل العرب، 1980م) ص22، وانظر Zhang Guang Da، مصدر سابق، ص753.

البصرة،[58] ولابدّ أنه كان يمتلك سفناً.

وبمثل ما ازدهرت في تلك الفترة موانئ الخليج العربية وشبه الجزيرة العربية كعدن، وصحار، ومسقط، والبحرين، والأبله، والبصرة، وغيرها نتيجة للتجارة مع الصين والهند نجد أن موانئ صينية مثل Guang Zhou، وHang Zhou، وQuang Zhou، وYang Zhou ازدهرت أيضا نتيجة للانتعاش التجاري بينهم وبين موانئ الخليج العربي وشبه الجزيرة العربية وكان التجار الخليجيون يستقبلون بكل احترام وترحيب في كل هذه الموانئ، يقول سليمان السيرافي في هذا الشأن: "كانت الرقابة الصينية على السلع الواردة على سفن الخليج دقيقة فعندما يدخل التجار من البحر قبض الصينيون متاعهم وصيروه في البيوت والمخازن وضمنوه إلى ستة أشهر إلى أن يدخل آخر البحريين، ثم يؤخذ من كل عشرة ثلاثة وسلم الباقي إلى التاجر وما احتاجه السلطان أخذه بأغلى الأثمان ولم يظلم فيه أحد ومما يأخذه السلطان الكافور، والكافور إذا لم يأخذه السلطان يساوي نصف الثمن خارجاً".[59]

وكانت الصادرات التي تحملها سفن الخليج العربي إلى الصين تتكون من منتجات الخليج من المنسوجات الغالية المصنوعة من التيل والقطن والصوف والسجاد وخام الحديد، سبائك الذهب والفضة واللبان وماء الورد ودم الأخوين، واللؤلؤ الذي تشتهر به إلى جانب عمان البحرين،[60] وكان الإقبال قد زاد على لؤلؤ البحرين لجودته حتى حملته السفن إلى أقاصي الهند والصين،[61] وأصبح مصدراً مهما من مصادر الربح

---

58 المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج1، ص108، وانظر أيضا برزك بن شهريار الناخداه، **كتاب عجائب الهند**، مصدر سابق، ص64.

59 السيرافي، **رحلة السيرافي إلى الهند والصين**، مصدر سابق، ص46، وانظر أيضاً:

*An Ancient Account of India and China*, op. cit., p.12.

60 حوراني، مصدر سابق، ص30، انظر أيضاً: بدر الدين حي الصيني، مصدر سابق، ص118، وللمزيد من المعلومات حول الصادرات العربية إلى الصين انظر:

Chau Ju-Kua, *His Work ontThe Chinese and Arab Trade in the Twelfth and Thirteenth Century Entitled, Chu-Fan-Chi*, Translated from the Chinese, and Annoted by Friedrich Hirth and W. W. Rockhill, Printed Office of the Imperial Academy of Science, 1911.

61 سليمان إبراهيم العسكري، **التجارة والملاحة في الخليج العربي في العصر العباسي**، مصدر سابق، ص103.

والثروة لهذا المركز التجاري المهم.

والجدير بالذكر أن الكثير من المنتجات الخليجية كاللُبان العماني ودم الأخوين أصبحت في هذه الفترة جزءاً أصيلاً من الصيدليّة الصينيّة، كما أصبحت هذه المنتجات جزءاً من مكونات الأدوية الصينيّة التقليديّة وقد ذكر هذه الحقيقة الصيدلي الصيني لي شي تشن الذي عاش في فترة أسرة تانغ في كتابه الشهير بن تساو قانغ مو.[62] ونلاحظ أن تجار مسقط استطاعوا بنهاية القرن التاسع الميلادي أن يوجدوا علاقات تجارية ودية بينهم وسكان مدينة Guang Zhou بل أن الكثير من هؤلاء التجار اتخذوا زوجاتهم من الصين.[63]

كما نجح التجار العمانيون في نهاية القرن التاسع في أن ينقلوا اللغة العربية إلى Guang Zhou.[64]

إلاّ أن هذه التبادلات الوديّة والتجاريّة والثقافيّة الكثيفة بدأت في التدهور والتراجع منذ منتصف القرن التاسع الميلادي عندما بدأ عهد الاضطرابات وعدم الاستقرار في الصين وقد وصل الاضطراب ذروته في عهد الإمبراطور Xi Zong (873–888م) وذلك عندما هاجم المتمرد Huan Chao في عام 878م مدينة Guang Zhou محدثاً مذبحة كبيرة وسط التجار الأجانب ومن ضمنهم تجار من الخليج وعمان، ويؤكد أبو زيد الحسن السيرافي أن أكثر من 120 ألفاً من التجار المسلمين واليهود والنصارى قد قُتلوا في تلك الأحداث الدامية، كما فرض المتمردون على التجار رسوماً ضريبية باهظة ليس لها سند قانوني، كما صادروا بعض ممتلكات التجار واستولوا عليها.[65]

والجدير بالذكر أن معلومات المصادر العربية الأخرى كالمسعودي وابن الأثير

---

62 Zhang Yin Lan and Zhu Jia Qin (eds.). *Collections of Information About the Communication Between China and the Western Countries*, vol. I, China Press House, Beijing, 1974, pp.165,168.

63 علي حسين السليمان الناصر، **النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية أواخر العصور الوسطى 1250–1517م** (القاهرة: مكتبة الأنجلو المصرية، ط1، 1980م) ص79.

64 المصدر السابق، ص149.

65 السيرافي، **رحلة السيرافي إلى الهند والصين**، مصدر سابق، ص62، وانظر *Ancient Accout of India and China*, op. cit., pp.41-42.

الذي أورد هذه الأحداث تحت أحداث عام 264هـ الموافق 877م تتطابق إلى حد كبير مع الروايات الصينية المحفوظة في كتاب تاريخ أسرة تانغ.[66]

أجبرت المعاملة الوحشية الجديدة للمتمرد Chao Huan تجار الخليج العربي على التوقف عن المجيء إلى الصين وأخذت سفنهم التجارية تقابل السفن الصينية في Kalah على الساحل الغربي لشبه جزيرة ملقا. كما توقفت السفن الصينية أيضاً في تلك الفترة المضطربة عن الذهاب إلى مسقط.[67] ويبدو أن أسرة تانغ الحاكمة قد فشلت بعد ذلك التمرد في السيطرة على أحوال البلاد وتدهورت أحوالها إلى أن حلت نهايتها عام 907م.

وكانت المصادر العربية أيضاً قد تابعت سنوات الضعف التي زامنت فترة أسرة تانغ الأخيرة بعد هذا التمرّد الدامي حيث يقول أبو زيد الحسن السيرافي وهو يصف الأيام الأخيرة لأسرة تانغ بعد هذا التمرد الرهيب: "فصارت بلاد الصين على سبيل ماجرت عليه أحوال الأكاسرة عند قتل الإسكندر لدارا الكبير وقسمته أرض فارس على ملوك الطوائف وصار بعضهم يعضد بعضاً للمغالبة بغير إذن الملك ولا أمره فإذا أناخ القوي منهم على الضعيف تغلب على بلاده واجتاح ما فيه"، ويرصد المسعودي أيضاً تلك الحالة فيقول: "وتغلب كل صاحب ناحية من عمله على ناحيته، كتغلب ملوك الطوائف حين قتل الإسكندر بن فيلبوس المقدوني دارا بن دارا ملك فارس، ولم يتأت له المسير إلى كل أعماله، وعدا كل فريق منهم على ما يليه على حسب قوته وتمكنه فعدم انتظام الملك واستقامته.[68]

وكما كان تأثير سوق الصين العظيم المزدهر إبّان فترة أسرة تانغ المستقرة كبيراً على موانئ الخليج العربي وعمان ومسقط والبحرين وسيراف وغيرها من حيث

[66] المسعودي، **مروج الذهب**، مصدر سابق، ج1، ص137-139، وانظر ابن الأثير، **الكامل في التاريخ**، مصدر سابق، ج6، ص18-19.

[67] علي حسين السليمان الناصر، مصدر سابق، ص200.

[68] السيرافي، **رحلة السيرافي إلى الهند والصين**، مصدر سابق، ص63-64، وانظر المسعودي، **مروج الذهب**، ج1، ص139.

الازدهار والثروة فقد كان تأثير فقدان هذا السوق في سنوات الاضطراب أيضاً كبيراً، إذا تشير المصادر العربية ومنها كتاب رحلة السيرافي إلى فقدان الكثير من الأسر الغنية بسبب تجارتها مع الصين لمصادر ثروتها وازدهارها، فها هو ذا أبو زيد الحسن السيرافي يحدثنا عن تأثير انقطاع التجارة مع الصين بسبب أحداث Guang Zhou فيقول: "ومنع البحر جانبه ووقع الفناء بالمقدور الجاري من المدبر تبارك اسمه في الربانية والأدلاء بسيراف وعمان".[69]

على كل حال لم يكن الوضع في المنطقة العربيّة بأحسن منه في الصين فالخلفاء العباسيون كانوا بدورهم يواجهون صعوبات جمة إذ بدأت منذ عام 850م بعض أجزاء دولتهم في الانفصال. وحدثت ثورات دامية منطقة Mesopotamia وقاد الزنج ثورة عارمة هاجموا خلالها موانئ الأبله والبصرة وفصلوا بغداد عن الخليج العربي، وفي سنة 817م أصبحت السند مستقلة عن الخلافة العباسية، كما دمرت منطقة سيراف بعد أن ضربها زلزال عام 977م، أما منطقة شرق العراق فقد كانت تموج بصراعات وثورات عنيفة وذلك منذ عام 899م.[70]

على كل حال تعاقبت بعد سقوط أسرة تانغ الملكية على حكم الصين في الفترة من 906–960م خمس أسر، أي أنه في أقل من 60 عاماً تعاقبت على حكم البلاد خمس أسر ملكية وهو بطبيعة الحال مؤشر واضح على سوء الأحوال واضطراب البلاد. إلاّ أنه على الرغم من الفوضى وعدم الاستقرار اللذين لازما هذه الفترة فقد استمر التبادل الدبلوماسيّ والتجاريّ بين الصين والمنطقة العربيّة، إذ يتحدث الكاتب الصيني Chau Ju Kua عن وفد عربي يقوده Piu-Ko-San (ربما أبو الحسن) وصل إلى البلاط الإمبراطوري وقدم هدايا عبارة عن خمس عشرة زجاجة من ماء الورد.[71] كما تذكر المصادر الصينيّة أن عام 924م شهد قدوم بعثة عربية إلى الصين وذلك خلال فترة حكم الإمبراطور Zhuang Zong.[72] كما أن أسرتي Wu Yue و قامتا باستيراد الزيت

---

69 السيرافي، **رحلة السيرافي إلى الهند والصين**، ص64، وانظر Zhang Jun-Yan, op. cit., p.94.

70 بندلي جوزي، **تاريخ الحركات الفكرية في الإسلام** (بيروت: مطبعة الكرمل، ط2، 1981) ص45–116.

71 Chau-Ju-Kua, op. cit., p.203.

72 Zhang Jun-Yan, op. cit., p.100.

من بلاد العرب وأعادتا تصديره إلى كوريا.[73]

إلاّ أنه سرعان ما حسم الصينيون سنوات الاضطراب هذه في عام 960م لتشهد البلاد مرة أخرى أسرة قوية حكمت البلاد لأكثر من ثلاثة قرون وعرفت تلك الأسرة في التاريخ الصيني بأسرة سونغ الملكية.

وبنهاية أسرة تانغ في عام 907م وتفكك الممالك الخمسة في عام 960م انتهت إحدى فترات التبادلات التجاريّة والثقافيّة والدبلوماسيّة النشطة بين الصين والعالم الإسلامي آنذاك بما فيه منطقة شبه الجزيرة العربية ليبدأ بعد ذلك عصر جديد في تاريخ العلاقات الصينيّة العربيّة الإسلاميّة بشكل عام وعلاقات بلاد الصين مع شبه الجزيرة العربيّة بشكل خاص.

## خاتمة

حاولت هذه الدراسة أن تتابع علاقات منطقة شبه الجزيرة العربية وبلاد الصين إبان أسرة تانغ الملكية 618-907م، والممالك الخمسة 907-960م وهي أيضاً فترة مهمة من تاريخ شبه الجزيرة العربية وهي الفترة التي تزامنت مع ظهور الإسلام وقيام دولة المدينة والخلافة الراشدة. وقد حققت الدراسة إحدى فرضياتها المهمة، وهي أن منطقة شبه الجزيرة العربية قد احتفظت بعلاقات جيدة ومتميزة مع بلاد الصين خلال هذه الفترة حيث أرسلت أولى الوفود الدبلوماسيّة الإسلاميّة إلى بلاد الصين في أعوام 651م، 653م، 655م ليستمر بعد ذلك تدفق الوفود الدبلوماسيّة والتجار والرحالة والدعاة.

وقد حاولت الدراسة أن تتابع حركة التجارة والمسالك والنشاط الاجتماعيّ والاقتصاديّ والثقافيّ للمسلمين والعرب في الصين خلال هذه الفترة كما عملت على إلقاء الضوء على معارف الصينيين ومعلوماتهم عن الإسلام والمسلمين إبان أسرة تانغ الملكية، في محاولة لتأسيس صورة جديدة حول الأصول التاريخيّة للإسلام في الصين وتأثيراته في بنية المجتمع والثقافة في هذا البلد العريق خصوصاً أن جدلاً واسعاً لا يزال

---

[73] Wu Yue Bei Shi, *Outline of the Wu and Yue History*, vol. 2.

يدور في الأوساط الأكاديميّة الصينيّة حول التاريخ الحقيقي لدخول الإسلام والثقافية الإسلامية إلى الصين وفترة تكون قوميات صينية مسلمة مثل قومية الخوي الصينية ذات الجذور العربيّة والفارسيّة.

ونستطيع أن نخلص في ختام هذه الدراسة إلى أن تبادلات ثرية كالتي تابعناها خلال هذه الدراسة لن تمرّ دون تأثير قوي في بنية المجتمع الصينيّ، خصوصاً أن المصادر الصينيّة والعربيّة حفظت لنا الكثير من المعلومات حول وجود لجاليات عربيّة وإسلاميّة في كثير من المدن والمناطق الساحليّة الصينيّة كما أشارت إلى اتساع حركة المصاهرة بين هذه المجموعات والصينيين، هذا فضلاً عن أن عدداً غير معلوم من الجنود والضباط الذين أرسهلم الخليفة أبو جعفر المنصور لمساعدة حكام أسرة تانغ وذلك في عام 756م لاسترداد عاصمتيهما شيان ولويانغ استقروا في مدينة شيان وفي مناطق في شمال غرب الصين، هذا فضلاً عن أن مواطنين عرب وفرس آخرين استقروا في مناطق مختلفة من الصين بوصفهم تجارا، أو مواطنين، أو حتى لاجئين سياسيين، ولا شك أن بعضهم قد تزوج من نساء صينيات، ونعتقد أن هذه المجموعات التي جاءت تحمل معها ثقافاتها ودينها الجديد قد وضعت اللبنات الأولى للثقافة الإسلامية في الصين.

حاولنا في هذه الدراسة مستعينين بالزيارات الميدانية للقبور والنقوش الإسلامية القديمة في المساجد وخصوصاً في مناطق جنوب الصين الإسهام في حل لغز الزيارات والوفود والإشارات الغامضة لمبعوثين دبلوماسيين ورجال دعوة جاءوا من المدينة إلى الصين إبّان حياة الرسول الكريم ﷺ، ولم نستبعد احتمال ورود أولئك الدعاة والدبلوماسيين في ذلك الوقت المبكر من حياة الدعوة الإسلاميّة.

كما خلصت هذه الدراسة إلى أنه في مجرى العلاقات الصينيّة العربيّة الإسلاميّة انفردت منطقة شبه الجزيرة العربيّة بأنها أوّل من سعى لتأسيس علاقات دبلوماسيّة مع أباطرة الصين.

لقد شكلت بحق العلاقات الدبلوماسيّة بين الدولة الإسلاميّة والصين إبّان حقبة الخلافة الراشدة والعصر الأموي الأساس القوي الذي قامت عليه العلاقات بين الصين

والدولة الإسلاميّة بعد ذلك.

إن اهتمام حكام المسلمين في شبه الجزيرة العربيّة بإقامة علاقات ودية مع الصين قاد - في اعتقادنا - إلى موقف صيني محايد من حركة الفتوحات الإسلاميّة، بل ورفضهم لمبادرات جادة من حلفائهم في آسيا الوسطى لتشكيل جبهة عسكريّة موحدة ضد جيوش المسلمين القادمة من قلب الجزيرة العربيّة.

إن الموقف الصيني غير المعادي للمد الإسلاميّ آنذاك قد ساعد كثيراً في سلاسة حركة الفتح الإسلامي في كل قارة آسيا وبالتالي انتشار الإسلام في رقعة واسعة من المعمورة. ويرجع هذا مرة أخرى في اعتقادنا إلى السياسة الدبلوماسيّة الرفيعة والمرنة للخلفاء الراشدين تجاه الصين والتي أسهمت كثيراً في تشكيل المزاج غير المعادي لأباطرة الصين تجاه حركة المد الإسلامي في وسط آسيا.